إضاءة

في مثل هذا اليوم من عام 2015، انطلق «التلفزيون العربي» في بثّه الأوّل، متّخذاً من ذكرى ثورة 25 يناير المصرية ميقاتاً له. للتغيير والثورات العربية ظلّت الشاشة العربية وفيةً في خطابها وانحيازها، يقودها إيمانٌ بالدور الذي تلعبه الثقافة في صلب عملية التغيير، وبمكانتها في المجتمع

حين تجد الثقافةُ مكانَها على الشاشة

التلفزيون العربي
ثماني سنوات على المغامرة الجسورة

من استديوهات «التلفزيون العربي» في لوسيل (التلفزيون العربي)

أنس الأسعد

ماذا يمكنُ لثنائية الثقافة والتلفاز أن تقول؟ تَكرّر طرحُ السؤال السابق في العقد الأخير من القرن العشرين، عندما فرض التلفاز نفسهُ سيّداً على المساحات المنزلية، مُتقدّماً بخفّته وضَوْره وألوانه على وسائل إعلام أُخرى، سواء كانت مسموعة كالراديو، او مرئية كالسينما، او مقروءة كالصحيفة. لكنْ، هل يستبطنُ السؤال تناقضاً حقاً، على ما ذهب إليه مثقّفون شكّاكون بطبيعهم؟ أم أن هناك علاقة سلبية بين الغَجالة الآنية، وبين الفكر والثقافة، بحسب ما أشار عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو (1930 - 2002)، في سجالاته حول التلفزيون وثقافة الصورة؟ وهل يمكنُ الوصول من خلال وسيلة إعلام، ذات جماهيرية واسعة، إلى طرح مواضيع جادّة، عادة ما تتصدّى لها الثقافة الموصوفة بالنخبوية؟

مع دخول العَشرية الأولى من الألفية الجديدة، بدأت تتكشّف أجوبةٌ عديدة على الإشكاليات السابقة؛ أجوبة تتعلّق بالأداء والتوجّه والهمّ الرسالي أو/ والترفيهي الذي تحمله القناة التلفزيونية. بمعنى آخر، تبيّن أن تلك الشكوك في مكانها، ولكنّها مشروطة بالقناة بوصفها مشروعاً فكرياً بالضرورة، مهما كان مضمونها، لا بالجهاز (التلفاز) كأداة اتصال. وفي ذروة عصر الصورة المتلفزة، اتّضح أنّ الثقافة بإمكانها أن تُقولب ضمنها، وأن نوعاً من عقد ثقة ضمنيّ يُمكنُ له أن ينتظمَ بين المتلقّي والقناة التلفزيونية. لكن سرعان ما انقلبت الأمور مع الوصول إلى العَشرية الثانية من الألفية الجديدة، حيث زعزعت وسائل التواصل الاجتماعي تلك السيادة المتلفزة، وأعادت طرْح الأسئلة من جديد، وبطريقة أشدّ تركيباً، بالمعنيَيْن الموضوعي والتقني للكلمة. وهذا ما انعكس بطبيعة الحال على الثنائية التي انطلقنا منها، إذ باتت محفوفة بمنافسين كُثُر، حيث لم نعد أمام مُرسِل ورسالة ومُرسَل إليه، بل أمام فيض من «التفاعُلات». أمّا عقد الثقة اللامرئي، فلم يظلّ على حاله، بعد أن فرضت «السوشال ميديا» بنودَها المراوغة من خلال أدوات تمايُزها التقنية، واقتصاد نقراتها. على هذا الإيقاع المتسارع إعلامياً وتقنياً، إضافة إلى ما شهدته الساحة العربية خلال عَقدٍ من الثورات والانتفاضات، بدأت مطلع عام 2011 وما زال بعضُها مستمراً إلى اليوم، بات الحديث عن مشروع تلفزيوني أشبهَ بالمغامرة. هل نؤسّس تلفزيوناً بالفهم التقليدي، بحيث يبقى كلّ شيء على حاله؟ والنتيجة المنتظَرة لهذا القول هي أن تُترك الساحة لـ«صانعي المحتوى» و«اليوتيوبرز»، ولا يلبث مشروعُك أن تَسدّ المنافذ بوجهه. أم يُستفاد من جملة التطوّرات (أمرٌ ليس من البداية، وتحقيقه يتطلّب شجاعة ومثابرة) ليُصار إلى شاشة عربية، يُمكنُ أن تعيد للمشاهد العربي حقوقه في عقد الثقة ذلك؟ هذا ما أنجزَ مع مشروع «التلفزيون العربي»، الذي انطلق في مثل هذا اليوم من عام 2015. وهو، أيضاً، ذكرى انطلاقة ثورة يناير في مصر قبل ذلك التاريخ بأربعة أعوام.

في الكلام أعلاه عمومية لا بدّ منها، للتوطئة لحديث تالٍ سأميّز فيه بين الخاص والعام. فالمُتابِع لـ«العربي» طيلة السنوات الثماني الماضية يعود، بمقدار ما، إلى الحالة «البينوتية» (نسبةً إلى البيت)، التي سادت في التسعينيات ومطلع الألفية: برامجُ رصينة ضمن إطار رسالي وتنوّع معرفيّ واضح، هذا من جهة. ومن جهة ثانية، جودةٌ في الصورة، وألوان تُريح العين، وهوية بصرية تؤطّر السمت الهادئ، الذي لا يفرض «ذوقه»، بل يُلبّي بهدوئه المتطلّبات والحساسيات الجمالية، التي تعضدُ وتستكمل المضمون الرصين، لترفع بثقة القناة الرديفة «العربي 2»، والتي انطلقت قبل عام بشعار «ألوان الحياة». وهنا لا بدّ من الإشارة إلى هذه المسألة الجمالية وحساسيتها، فغالبية وسائل الإعلام تُسرع لتبنّي شعارات حول مسائل كالمواقف والآراء، كون الأخيرة مسألة حسّاسة عند الجميع حتى قبل إنْ تكون دونها. لكنّ، هناك تناسُ لفكرة أنّ الشجاعة لا تُترجَم في المشاريع الإعلامية من خلال الجُرأة وحسب، بل والجُهوزية اللوجستية أيضاً. فالبُنية التحتية المُهلهلة تفرضُ نزْقاً على المضمون وتنعكس وصايةً على الجمهور، وهذا ما نجح «العربي» في تلافيه وعدم الوقوع به، مؤسّساً لمعادلة تتكامل فيها الشروط الجمالية والمهنية.

ولمّا كان الحديث في سياق ثقافي، فالأمر لا يحتاج طولَ تفكّر حتى نقول إن برامج مثل «عصير الكتب»، و«طرب»، و«الرحلة»، و«مشوار سنّي» التي وقّعها كُتّاب وفنّانون مثل الكاتب المصري بلال فضل (1974)، والمؤلّف والملحّن الموسيقي اللبناني مروان خوري (1968)، وصانع الأفلام الوثائقية المصري أسعد طه (1956)، والمغنّية الفلسطينية دلال أبو آمنة (1983). ولا يفوتنا هنا أن نذكّر الطبيب والصحافي محمد أبو الغيط، الذي رحل عن عالمنا نهاية العام الماضي (1988 - 2022)، والذي كانت له بصمته كمعدّ برامج في «التلفزيون العربي».

أعادت هذه البرامج عقْد الثقة إلى المُشاهد العربي، وبصَرَته بجوانب لطالما حُجبت عن ناظريه، بعد أن استكان الكثير من شبكات التلفزة العربية لخطاب «الترفيه»، الذي لم يكن سوى تواطؤ مع أشدّ جوانب «السوشال ميديا» تخريباً وتسليعاً، وهو ترفيه يفتقد للبراءة والأولوية، إذ تزامن مع وقت الثورة والتغيير الذي ظلّ الدافع الأوّل لـ«التلفزيون العربي». أمّا الوجهة والقصد والتوقيت في كلّ خطوة، فلم تُنظَم إلا على ميقات واحد، ميقات القدس المحتلّة عاصمةً أبدية للشعب الفلسطيني في مقاومته اليومية لآلة القتل الاستعمارية الإسرائيلية، وهنا لا بدّ من الإشارة إلى التغطيات التي يقدّمها التلفزيون من الداخل المُحتلّ، وخطابه على الصعيدين العربي والدولي الرافض للتطبيع مع الاحتلال العنصري.

شهد التلفزيون مؤخّراً حدثيْن في مسيرته، إذ انتقل من مقرّه القديم في لندن، ليبدأ منذ الثامنة من مساء الثلاثاء 30 أغسطس/ آب 2022 بثّه من لوسيل، المدينة التي تقع شمال الدوحة، وحمل هذا الانتقال عنوان «الصفاف» على أرض عربية»، مترافقاً مع استعدادات قطر لاستضافة كأس العالم 2022. أمّا الحدث الأسبق، فيتمثّل بإطلاق شاشة رديفة بعنوان «العربي 2»، قبل عام تقريباً، واللافت أن القناة، وفي غمرة كلّ البهرجات الترفيهية، أثّرت أن تنطلق وتكون على الهواء من خلال برنامج ثقافي، حيث بُثّت الحلقة الأولى من برنامج «صفاف» الذي وقّعه بإطلالة مميّزة الإعلاميان: الفلسطينية الآء كراجة والجزائري خالد بن أحمد خلّافاوي، عند السادسة مساءً الثاني من كانون الثاني/ يناير 2022. وفي هذا إجابة رصينة، لا عن السؤال الذي بدأنا به هذه المقالة، بل وعن أبعاده المُركّبة من التحدّيات التي أضافها تغيّر الزمن السريع، و«العربي» في ذلك يراهن على أنّه ما زال للثقافة القَول الفصل والافتتاحي.

> عودة إلى زمن الثقة بالتلفاز بعيداً عن الاستهلاك والترفيه
>
> على توقيت القدس المحتلة اختار ان يضبط خطابه وميقاته

وبعد عام على تجربة «العربي 2»، تبيّن أن حصة الثقافة وبرامجها وافرة على الشاشة. يستوقفنا هنا البرنامج الحواري الذي تقدمه الإعلامية الفلسطينية الآء كراجة «متون وهوامش»، والذي بُثّت الحلقة الأولى منه في تاريخ الرابع والعشرين من أيلول/ سبتمبر الماضي. تقوم فكرة البرنامج على استضافة ثلاثة ضيوف في كلّ حلقة لمناقشة قضايا ومفاهيم ثقافية من مختلف المشارب، حيث يطرح ضيوفُ البرنامج آراءهم وتوجّهاتهم الفكرية والإبداعية، ويناقشون أبرزَ الإشكاليات المطروحة في بيئتهم المحلّية والعربية وانعكاسها على ازدهار مجالاتهم الثقافية وانتشارها».

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

تصويب

موعدان

لا بدّ من الوقوف عند برنامجين عُرضا على شاشة «العربي» ثم انتقلا ليكونا من الباقة التي تقدّمها «العربي 2». أوّلهما «ضفاف»، الذي «يسلّط الضوء على الفنانين والأنشطة الثقافية في مختلف أرجاء الوطن العربي بشكل خاص، وكذلك على الأحداث الثقافية العالمية، من خلال فقرات تُعنى بالفنون والثقافة والتراث» (من الأحد إلى الخميس عند السادسة مساءً بتوقيت القدس المحتلّة). وهو يغطّي حقولاً فنّية، مثل الأفلام والعروض الأدائية والمسرحية والإنتاجات الروائية والأعمال التلفزيونية والموسيقية، بما يشمل التنوّع الذي يمتاز به العالم العربي. وكذلك الدول التي تُقيم على أرضها جاليات عربية كبيرة.

أمّا البرنامج الثاني، فهو الذي يُعيدنا صاحبُهُ إلى ثراء «الكشكول» بطبعة معاصرة فريدة. ونحن نتكلّم هنا على «سيداتي سادتي»، الذي يقدّمه الإعلامي الفلسطيني عارف حجاوي، كلّ اثنين عند التاسعة مساءً. و«يقدّم قراءة معمّقة وحرّة لأخبار وصحف الأسبوع، ويعرض على محكمة التاريخ زعماءً وحقباً، لنرحل مع حجاوي بسياحة حرّة في تجاربه وقراءاته وخزائنه».

ويفضل تعدُّد اهتماماته، يمتاز البرنامج بقدرته على مخاطبة أجيال مختلفة، كذلك فإننا أمام رجلٍ يُقلّب المفردات على لسانه ويولّدها. فتخال أنّ العربية قد غدت معه درساً في تحصيل السرور، إن سمعتَها بأذن العامية ترتقي بك بفصيحها، وإن سمعتَها بأذن الفصحى تفاجئك بمستويات تحسبها من العامية. وما في كذلك.

أنس...

للحياة وألوانها

تجلّى التزام «التلفزيون العربي»، منذ تأسيسه في مثل هذا اليوم من عام 2015، بالانحياز للهموم العربية في التغيير والديمقراطية والانشغال بالقضية الفلسطينية. وفي هذا السياق شاهدنا عشرات البرامج والوثائقيات، ومنها برنامج «مشوار سنّي» الذي قدّمته المغنّية الفلسطينية دلال أبو آمنة (الصورة، 1982)، والذي اظهر تراث فلسطين بحاراتها واهلها من البحر الى النهر. برنامج لشكّل ترجمةً لشعار «العربي 2»: «ألوان الحياة».

إطلالة

نسائم الربيع

نجم الدين خلف الله

لم يعد العربيّ المُتولّد من نَسمات الرّبيع العربيّ هو نفسه الذي عاش طيلة العقود السّابقة تحت وطأة إعلام حكوميّ مُدجّن، تقتصرُ محتوياتُه التلفزيّة على تمجيد «الزّعماء» والإشادة بإنجازاتهم بعدَ الإصغاء إلى توجيهاتهم. ولن يقنعَ هذا العربيّ بما يُقدّمه الإعلام التقليديّ من قوالبَ باليةٍ وطُرق روتينيّة في التواصل المرئيّ، فضلاً عن مُحتوياتٍ مكرّرة تفتقد إلى التأصيل الفكريّ بسبب من الرّقابة الصّارمة والنّفَس التبجيلي.

لذلك، كان ظهور «التلفزيون العربيّ»، سنة 2015، شبه «ضرورة تاريخيّة»، أملاها عُمق التغيير الذي أسفر عنه «الربيع»، فراعى بمُقتضاها القطائع التي حدّثت في أفاق الانتظار والتي تشكّكُ بعد سقوط الأنظمة البائدة وقيام «كون تواصليّ» مختلفٍ، هيمنت عليه الشبكات الاجتماعيّة الحرّة، رديفةً للإعلام الرسمي ومنافسةً له، وسيطرت على نسيجه اليومي آليات الذّكاء الاصطناعي، فتغيّرت خارطةُ الوعي وأنماط اشتغاله بعد أن تَسارعت وتائر نقل المعلومات وتراكمت طبقاتُها.

أمام سلسلة هذه التحدّيات التي لا تنقضي، كان على «التلفزيون العربيّ» أن يتحرّك لرفعها ضمن رؤية معرفيّة متكاملة، هدفها تفكيك خطاب المركزيّة الأوروبيّة ونزع الرّوح الاستعماريّة المتلبّسة بالإنتاج الفكريّ، عربيّهِ وغَربيّه، إضافةً إلى قراءة التراث العربي-الإسلاميّ نقدياً، دون هضم لحُقوقِه ولا استلاب في مُقدّساته. وفي ذات الآن، فتْحُ المجال رحباً للعقل العربيّ وإنتاجاته الفكريّة والإبداعيّة، وليست بالعزيزة ولا النّادرة، كلّ ذلك في توضيب مُرئيّ مُعاصر جذّاب. يشدّ مُشاهداً باتت «أعينُه مفتوحة» ووَعيُه أحدّ.

وهكذا، غدا «التلفزيون العربي» روحَ هذه الرؤية المعرفيّة صورةً وصوتاً، ينقلُها مَلمَحاً وصدىً، حاملاً عبر الأثير مشاغلَ عرب ما بعد «الربيع» واهتمامات مثقّفيهم ومُبدعيهم وإعلاميّيهم، وقد ظهروا جليّاً وأخيراً بعد ما أتاحت لهم هذه الشاشة السّخيّة أبوابَها وبعد أن أزيحت وجوهُ السّلط البائدة وأبواقُها التي طالما ملأت قنوات الإعلام المحليّة بمحتويات التدجين والتمجيد في تكرير للا-ثقافات السّلطات وخوائها.

استثمار كبيرٌ، كبَرُه بقَدْر خطورة التّحديات ونَبالة الأهداف: تحرير المُشاهد العربيّ من أوهام ضَعفه وتبعيّته، وتوعيته بأنه قادرٌ، كأقرانه في التّاريخ، على صنع التّاريخ وإعطائه معنًى لا يُخالف قيمَ «الرّسالة» ولا يَجْحد تحوّلات الواقع وحركته الدائبة. يعي كونيّةَ القيَم ونسبيّتها، فيبني مع إدلتِه من بني الإنسان، فضاءاته الإعلاميّة. يَنحتها بيَدَيْه في ثقة وبَهاء، كما يفعل «التلفزيون العربيّ» حين يعرض لوحاتٍ من هذا البهاء الذاتيّ الذي تزخر به عُقول العَرب وأرضُهم ومُجتمعاتُهم الخَصيبة. عطاء لن تضنَّ به هذه العقول في العقود القادمة، تُشاهده ونَسمعه في خُلّة تليق بما تقدّمه أعرقُ المؤسسات الإعلاميّة: عطاء ينساب من شاشة صُغرى تنفتح على العالَم الكبير لتُشيد وعياً وليداً بهِ وبرهاناته التي يفكّكها في جرأة وثقة. ويكفي هذا ثمرةً للربيع العربي ونَسَائمه.

(كاتب وأكاديمي تونسي مقيم في باريس)

برامج

حصّة ثقافية حرّة تتنقل بين الشخصيات والموضوعات والقرون، هي تلك التي يقدّمها **عارف حجاوي** في برنامج **سيّداتي سادتي**، الذي تبثّه **العربي 2** عند التاسعة من مساء الاثنين بتوقيت القدس المحتلة. بلغة حكائية لا تتردّد بالأخذ من التحليل والنقد، يجمع البرنامج بين سِير كتّاب وطرائف من التراث وقضايا راهنة.

في حلقاته التي تبثّها **العربي 2** من الأحد إلى الخميس عند الساعة السادسة مساءً بتوقيت القدس، يسلّط برنامج **ضفاف** الضوء على أبرز النشاطات الثقافية، التي تُقام في مدن عربية أو حول العالم، مع انفتاح على مختلف أنواع الأحداث والفنون: من مهرجانات السينما إلى معارض الفن والكتاب، مروراً بالمهرجانات الموسيقية والعمران والتراث وغيرها من مجالات الثقافة.

إلى جانب برنامجَيْ **طرب** (9 مساء الخميس) الذي يهتمّ بموسيقى البوب و**مقامات** (9 مساء الأحد) الذي يسلّط الضوء على الغناء التراثي، تخصّص **العربي 2** مساحة للموسيقات الجديدة، حيث يوثّق برنامج **عرب Beats** (7 مساء الاثنين)، في كلّ حلقة، لواحدٍ من الوجوه أو الفرق الموسيقية الشابّة.

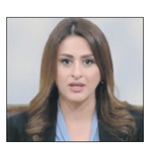

على شاشة **العربي 2**، يُطلّ البرنامج **متون وهوامش** عند الخامسة من مساء كلّ سبت بتوقيت القدس المحتلّة، حيث يستضيف مجموعة من المثقّفين لمناقشة موضوع معيّن يدخل في مجال اختصاصهم، كما في آخر حلقاته التي سلّطت الضوء، في الحادي والعشرين من هذا الشهر، على «العلاقة بين الإعلام والثقافة».

مذكّرات تحوّلات الأفكار والمجتمع في تاريخ شخصي

إعادة ترتيب أحداث معاصرة

البرنامج الذي يواصل «التلفزيون العربي» عرضه منذ نحو ثلاثة أعوام، يستعرض دورَ شخصيات مؤثّرة في التاريخ العربي الحديث من خلال بناء بصري متماسك

محمود منير

في حلقة برنامج «مذكّرات» التي بثها «التلفزيون العربي» في السادس والعشرين من أيار/ مايو 2022، وتناولت تفاصيل تجربة ساطع الحصري الفكرية وشهادته على عصره، يقف مفتتحها عند مقولة «لقد انفصلت سورية عنّا»، التي فاجأ بها صحيفة «وقت» الصادرة في إسطنبول عام 1919؛ أي بعد عام من انسحاب القوّات العثمانية من بلاد الشام، إذ كانت تصف لحظة رحيل المفكر السوري العثماني (1880 - 1968) عن تركيا.

تعود الحلقة إلى مرحلة مفصليّة من تاريخ المنطقة، في العقدين الأوّلين من القرن الماضي. حيث ناشدت صحف إسطنبول الحصري أن يبقى في الأناضول لأنه «يمثّل رأس مال الدولة العثمانية الأصيل»، وتكشف سيرته بوصفه واحداً من أواخر المواطنين العثمانيين، تكثّفت خلالها التحوّلات الكبرى التي شهدتها الإمبراطورية في مراحلها الأخيرة.

البرنامج الذي يواصل «التلفزيون العربي» عرضه منذ نحو ثلاثة أعوام، يستعرض مذكّرات شخصيّات مؤثّرة في مرحلة تاريخية مهمّة من خلال بناء بصري يعتمد الأرشيف والصور بأسلوب الدوكودراما، أو الدراما الوثائقية، ويرصد جانباً من أسرارها، وكيف عايشت حقبة معيّنة من التاريخ، في ربط معمّق ودقيق بين الأحداث والوقائع في تلك الحقبة، مع سيرة أحد أبرز الشهود الفاعلين عليها. الكثير من الأسرار احتوتها المذكّرات عبر الزمن ولم تنتشر بحكم الأمر الواقع في غالب الأحيان، بحسب تعريف البرنامج، الذي يرصد أيضاً مذكّرات لم تُنشر بعد، ويقدّمها استناداً إلى بحث معرفي يتقصّى الموضوعية وتعدُّد الزوايا في تناول مراحل تاريخية عاشتها كلّ شخصية، من دون فرض وجهة نظر مسبقة على المشاهد.

تستعيد حلقة الحصري آراء صاحب كتاب «دفاعاً عن العروبة» حول أسباب انهيار العثمانيين بسبب «التلكّؤ في الإقدام على الإصلاح»، من منظور رجل ينتمي إلى الطبقة الوسطى وحاصل على شهادات عليا كانت تؤهّله أن يتقلّد مناصب سياسية رفيعة، لكنّه اختار أن يكون معلّماً في مدارس البلقان، حيث تبلورت لديه أفكاره القومية آنذاك، ليخلُص إلى أن تحديث التعليم لن يتحقّق دون إصلاح سياسي؛ الموقف الذي تمسّك به وزيراً في حكومات فيصل في العراق، وبعد رحيله إلى القاهرة في عهد عبد الناصر، لكنّه ظلّ ينظر إلى نفسه من موقع «فوق سياسي».

في حلقات أخرى، تتمتّع هوية البرنامج في طرحه تساؤلات ملحّة حول الواقع العربي في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، كونها لا تزال حاضرة ومؤثّرة في زمننا الراهن، كما يعالجه في حلقة «مذكّرات مالك بن نبي».

في العاصمة القطرية التي اتخذ منها «التلفزيون العربي» مقرّاً بدءاً من نهاية آب/ أغسطس 2022 (Getty)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني